الكتاب والسنة ولم نرها أثر في مخطئة من يدعو الى ترك كل من الكتاب والسنة فان كان ذنب الاول انه يؤثر الاجتهاد على التقليد، فالثاني يهدم كلا من الاجتهاد والتقليد، وزال اعتذار الجامدين على التقليد بأن كلمة الدهماء مجتمعة عليه. فصار سببا للتفرق في الدين والارتداد عنه

واذا كان الاجماع — وهو ما يقرر باجتهاد جماعة أهل الحل والعقد — والقياس — وهو ما يستنبطه بالاجتهاد أفراد أهل العلم — هما أرقى ما اقتبسه منا الافرنج، وسبقنا اليهما ثابت بالنقل والعقل، وظهر انه لا علة لرفض من يرفضهما من المتفرنجين المارقين، الا كونهما من هداية الدين، وتقييدهما بنصوص الكتاب والسنة، وكونهما من آثار أئمة هذه الامة، فننتقل الى الكلام معهم في أصلي الكتاب والسنة، لنتبين هل ينبذونهما لذاتهما، أم لعلل يستنكرونها فيهما، ونوعدنا في ذلك المقالة الرابعة

الشيخ عبد الكريم سلمان

في أثناء شهر شعبان من هذا العام فجع القطر المصري بعالم من أنفع علمائه، وأديب من أبرع أدبائه، وكاتب من أبلغ كتابه، وقاض من أعدل قضاته، أحد أعضاء النهضة الاصلاحية الحالية (الشيخ عبد الكريم سلمان) تغمده الله برحمته

ولد الفقيد في قرية (جنبواي) احدى قرى مديرية البحيرة من أبوين كريمي الاخلاق، أما الوالد فألباني الاصل، وأما الوالدة فمصرية المحتد، وكان بين بيته وبيت الاستاذ الامام تعارف أهل الجوار، فلما جاورا في الازهر تعاشرا معاشرة الاهل لا الطلاب، ولما خرجا الى ميدان العمل تعاونا تعاون أخلاء الاصحاب، المتفقين في الآراء والمقاصد والآداب، وعاشا ما عاشا متوادين موادة اللدات والاتراب، ثم ما فرق الموت بينهما مدة التفاوت في العمر حتى جمع بينهما تحت التراب، فعسى أن يكون هذا مصليا لذلك المجلى الى دار الثواب، وأن يجمعنا الله بهما في دار الكرامة يوم المآب

لعل الشيخ عبد الكريم كان أذكى ذهنا من الاستاذ الامام، ولكن هذا فاقه ففاته في الجد والاجتهاد، وتسديد سهام الارادة الى كل مراده، والعادة أن أكثر الاذكياء يكونون قليلي العناية والاجتهاد في الاعمال العقلية التي توكل الى رأيهم واختيارهم

(كطلب العلم في مثل الازهر) والسبب الخفي لذلك انهم لا يشعرون بما يشعر به من دونهم في الذكاء الى التعب في التحصيل، الا من كان له من نفسه حافز يحفزه الى مقصد عظيم، وكان الاستاذ الامام من هؤلاء فانه طلب العلم بباعث ديني قوي نماه في قلبه سلوك طريق التصوف قبله كما فصلناه في ترجمته فكان وهو يسكن مع الشيخ عبد الكريم في حجرة واحدة يقضي جل ليلته في المطالعة ويحاول الشيخ عبد الكريم هو وغيره أن يحملوه على مشاركتهم في سمرهم وما يلهون به فيه فيعييهم ذلك منه، ولو كان للشيخ عبد الكريم مثل جده وعزيمته لكان للامة منه نابغة طار صيته في الاقطار، وبلغ من الشهرة ما تبلغه شمس النهار، على أنه مشى الهوينا فسبق الاقران، فكان الاستاذ الامام البدء من مريدي السيد جمال الدين وكان هو التنيان (١)

كان أول عمل تولاه الاستاذ الامام هو رئاسة تحرير الجريدة الرسمية (الوقائع المصرية) وادارة المطبوعات فكان الشيخ عبد الكريم عضده الاول في قلم محرريها ثم كان خلفه بعد اعتزاله العمل باعتقاله مع زعماء العرابيين إثر احتلال الانكليز لمصر، فوضع اسم (عبد الكريم سلمان) في ذيل الجريدة موضع اسم (محمد عبده) وظل في عمله هذا الى أن ألغي القسم الادبي من الجريدة واستغني عن عمله في المطبوعات بعد عودة الاستاذ الامام من منفاه

ولما شرع الاستاذ بعد استقراره بمصر في اصلاح التعليم في الجامع الازهر كان الشيخ عبد الكريم ساعده الايمن في ذلك من أول العمل الى آخره، وهو هو مؤلف كتاب (أعمال مجلس ادارة الازهر — في عشر سنين) كتبه عقب استقالتهما من مجلس ادارة الازهر وطبعناه ونشرناه قبيل وفاة الاستاذ الامام، بعد اطلاعه عليه واجازته له، ومنه يعلم قيمة عمل الشيخين في اقامة هذا الركن العظيم من أركان الاصلاح الاسلامي، وعبارته تشهد لهما بما كانا عليه من الاخلاص والتواضع والبعد عن التبجح والدعوى

فكفى الشيخ عبد الكريم فضلا وكرامة ان كان عشيرا وديدا للاستاذ الامام في أول نشأته العلمية وعضوا عاملا معه في النهضة الاصلاحية الاولى التي توسل اليها

(١) تطلق العرب كلمة البدء على السيد الاول في السيادة والتقدم والتنيان على التالي له في ذلك قال الشاعر في تفضيل قومه على غيرهم

تنيانا ان أتاهم كان بدءهم وبدؤهم ان اتانا كان تنيانا

بادارة المطبوعات ، وفي الحركة الاصلاحية الثانية التي توسل اليها باصلاح التعليم في الازهر، وتفصيل ذلك في سيرة الاستاذ الامام. وقد تخرج مع الاستاذ الامام على يد السيد جمال الدين كثير من الازهريين في الافكار والكتابة والخطابة كان في مقدمتهم ابراهيم بك اللقاني، واشتغل معهما في المطبوعات أفراد منهم أشهرهم من الاحياء سعد باشا زغلول وابراهيم بك الهلباوي ومن الموتى سيد افندي وفاء، ولكن ترك كل أولئك زي العلم الديني ،واستبدلوا به الزي الافرنجي العثماني،فكان اكثرهم بعد الثورة المرابية محامين في المحاكم الاهلية، ولم يجد الاستاذ الامام من يشتغل معه في الاصلاح بعد العودة الى مصر الا من حافظ على الزي الازهري وهو الشيخ عبد الكريم .

وبهذا يعلم تأثير تغيير الزي في الشؤون الاجتماعية

بعد خروج الفقيد من خدمة المطبوعات جعل عضوا (قاضيا) في المحكمة الشرعية العليا فكان فيها قدوة صالحة في تحري العدل، والاستقلال في الرأي،ومن آيات ماوصفناه به من شدة الذكاء انه ولي القضاء بمذهب الحنفية في المحكمة العليا الاستئنافية وهو شافعي لم يتمرن على الاعمال والاحكام القضائية في المحاكم الابتدائية، فلم يعجزه أن يضرب مع أكبر القضاة بكل سهم، ويكون سباقاً الى اصابة الحق والعدل في الحكم ، وكان له من الشهرة في المحكمة ماهو جدير به . نعم انه كان قد سبق له دراسة بعض كتب الحنفية في الفروع والاصول كما شهد له الشيخ عبد القادر الرافعي وغيره من كبار فقهائهم

ولئن وجد في زمن الفقيد أفراد يساهمونه في فضيلة استقلال القضاء ، وآحاد يجارونه في حلبة الادب والانشاء، وآخرون يسبقونه بالتوسع في بعض العلوم ، أو الاغراب في بعض شوارد الفنون ، فقد كاد يكون نسيج وحده في أفضل مايتفاضل فيه الناس، بعد ما يتعلق بالباطن من معرفة الله ، وكمال الايمان والاخلاص، أعني مكارم الاخلاق ، وما يلزمها من محاسن الاعمال والآداب ، فقد كان ممتازاً بالوفاء لاخوانه والاخلاص لاخدانه وخلانه ، والمروءة والنجدة في قضاء حاجات قاصديه، وان لم يكونوا من أصحابه ومحبيه، وأما أصحابه فكان أسبقهم الى عيادة مريضهم، وتشييع ميتهم، واصلاح ذات بينهم، وتهنئتهم بكل نعمة تحدث لهم، وكثيراً مايسافر من بلد الى آخر للعتبى بين متخاصمين والتأليف بين متباغضين،وازالة الجفاء بين أسرتين،

وكان له من الحذق في الاستتاب ما يسل به السخائم ، ومن اللطف في العتاب ما يستخرج به الحفائظ، فلاتكاد تتعامى حية على رقيته،أو تأبى عقدة أن تنحل بنفثه

ومن سوء حظ المسلمين ان أسرع اليه اليأس من صلاح حالهم ، فأقعده في آخر عمره عن مساعدة أعمال الاصلاح العام لهم ، وقد كان الاستاذ الامام عناه بقوله لي في أول العهد بمقدمي الى مصر : ان لي أملا كاملا وهنا رجل آخر له نصف أمل . ثم لم يلبث هذا النصف أن ذهبت به وقائع الايام ، حتى كان يصرح بذلك ويحتج علي وعلى الاستاذ الامام ، قائلا سنرى ما ينتهي اليه أملكما في هذه الامة الميتة ، وما يبلغه اصلاحكما من هذه الشعوب الفاسدة ، وله كلمة في هذا المعنى قالها لاستاذنا الشيخ حسين الجسر ، ألبسها كعادته ثوب الدعابة والهزل ، وقد كنا بدار الاستاذ الامام ، نتحدث فيما أشيع من رغبة الامة اليابانية في التدين بدين الاسلام ، قال الشيخ حسين الجسر : اذاً يرجى ان يعود الى الاسلام مجده ، قال الفقيد دعهم فإني أخشى اذا صاروا منا ، أن نفسدهم قبل ان يصلحونا . ذكرت هذا في ترجمة الرجل لما فيه من العبرة المحزنة . والى الله المشتكى ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

كان الفقيد طويل القامة عظيم الجثة قوي البنية فاعتراه منذ سنتين مرض في المعدة طال عهده وما نقه منه الا وقد ذهب سمنه ، وهزل بدنه ، وضعف قلبه ، حتى توفي فجأة بسكتة قلبية ، وكان يعزى أصدقاءه آل محمود في بلدة الرحمانية ، فنقلت جثته الى مصر ، وصلي عليه في الجامع الازهر ، ودفن بجوار صديقه الاستاذ الامام ، تغمدهما الله بالرحمة والرضوان ، وقد حضر تشييع جنازته وتالي مأتمه من لا يحصى من العلماء والوجهاء ووفود البلاد من الوجهين البحري والقبلي ، مظهرين لمكانته العالية من أنفسهم وممزين لنجله المهذب حسان افندي ، وللفقيد مقالات كثيرة في موضوعات شتى متفرقة في الصحف — كالوقائع المصرية ومجلة الآداب وجريدتي المؤيد والمقطم ، ولكن يقل فيها ما هو موقع منه أو معزو اليه ، وفي الاستطاعة جمع طائفة كبيرة منها ان وجد من يعنى بذلك . فعسى أن يأذن نجله بذلك لمن شاء ، جاعلا له حق طبعه ونشره ، لاحياء ذكرى والده وحفظ أثره .